الثمن

عبد الرحمن بن عوف

رضي الله عنه

أنفق ما استطعت لحجز مكان بالجنة

فمهما تنفق سيكون الثمن زهيدا.. لا تتردد.

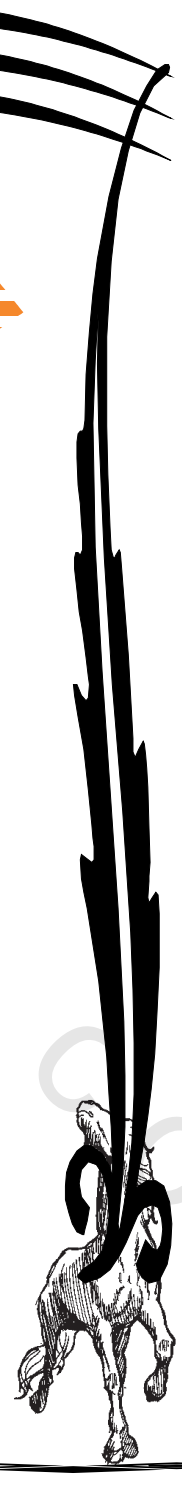

obeikandl.com

«أين أجد رسول الله ؟».

صاح بها «عبد عمرو» في لهفة، والذي لم تكد تمر دقائق، عرض فيها أبو بكر الصديق الإسلام عليه حتى انشرح صدره وتهلل وجهه.

وانطلق أبو بكر مع الشاب ذي الاثنين والعشرين عاما إلى رسول الله ﷺ، لينطق الشهادة بين يديه، ويكون ثامن من سبقوا إلى الإسلام، بمجرد انطلاق دعوة الرسول ﷺ في مكة.

وبدأت حياة جديدة لـ «عبد عمرو»، كان أولها أن تغير اسمه، ليصبح «عبد الرحمن » هواسمه الجديد.

ويشق عبد الرحمن مع الرسول ﷺ طريق الدعوة الصعب في مكة .. طريق المشقة والتضحية والجهاد.

وتأتي السنة الخامسة من البعثة، ليكون عبد الرحمن على موعد مع رحلة الهجرة إلى الحبشة مع إخوانه، ينشئون فيها قاعدة جديدة للدين الجديد، بعيدا عن اضطهاد قريش ومؤامراتها.

إلا أن عبد الرحمن يعود من الحبشة، ليهاجر إلى المدينة مع إخوانه في مكة، ليصبح ابن عوف صاحب الهجرتين.. الهجرة للحبشة، والهجرة لمكة.

وبدأ الرسول ﷺ في اتخاذ خطوات عملية تصهر المهاجرين في الأنصار، وتقرب الفوارق بينهم، وتحتوي المهاجرين في المدينة، دون حرج منهم، أو ضيق من الأنصار.

ويؤاخي الرسول ﷺ بين عبد الرحمن بن عوف وسعد بن الربيع، والذي كان واحدا من أغنياء المدينة.

ويضرب سعد بن الربيع مثالا في الإيثار، لا يزال يتباهى به تاريخ الأخلاق والقيم الإنسانية إلى الآن.

حيث قال سعد لعبد الرحمن في حديث لا ينقصه الصدق والجدية:

– أخي.. أنا أكثر أهل المدينة مالا، فانظر شطر مالي فخذه، وتحتي امرأتان، فانظر أيتهما أعجب لك، حتى أطلقها وتتزوجها.

إن ما قاله سعد لا يمكن تصوره، وربما يعد دربا من الخيال..

ومن لا يفهم طبيعة الإيمان عندما يأخذ مكانه في النفوس، ربما يصاب بالذهول مما يعرضه سعد على عبد الرحمن، ويحاول جاهدا أن يصدق، فلا يطاوعه عقله.

وإن اجتهد عقله في تصديق التضحية بنصف ماله لرجل، لم يكن يوما صديقا له، ولم يعرفه إلا

منذ زمن قصير.. قصير جدا، فإن عقله سيكون عاجزا – دون شك– عن تصديق الجزء الثاني من عرض سعد..

أن يعرض سعد زوجتيه على ابن عوف، ليختار أجملهما فيطلقها له، لتكون زوجة لعبد الرحمن.

بالتأكيد ما نحكيه الآن يعد دربا من المثالية في الأخوة، التي من الصعب تصور عشرها في زماننا هذا، حتى إن الأمر يصبح في بعض الأحيان لغزا محيرا.

إلا أن الإيمان والرغبة القوية في إرضاء الله والرسول ﷺ، يحل اللغز بسهولة..

والذي يدفعه الإيمان لأن يضحي بنفسه في سبيل الله طمعا في جنته، يكون منطقيا أن يدفعه إيمانه لأقل من ذلك.

وهنا يأتي دور الطرف الثاني.. عبد الرحمن بن عوف..

الشاب الفقير.. الذي قضى سنوات مغتربا عن بلاده مرتين، دون استقرار مادي..

ربما كان من المتوقع لشاب في مثل ظروفه، أن يقبل شيئا ولو يسيرا من عرض سعد، بعد أن يمنعه الحياء من بقيته.

فإن لم يشأ أن يقبله على سبيل الهدية، قبله على سبيل الدين الذي يرد حين ميسرة.

إلا أن شخصية عبد الرحمن بن عوف، كانت لا تميل إلى الاعتماد على الآخرين، وكان ابن عوف من الثقة، بحيث يجد نفسه قادرا على حل المشكلة بمجهوده ومواهبه.

ولقد كان..

فلقد شكر ابن عوف أخاه سعدا شكرا جزيلا، وربت على كتفيه في تقدير بالغ وهو يقول باسما:

– بارك الله لك في أهلك ومالك، ولكن.. دلني على السوق.

وكانت خطة ابن عوف جاهزة..

في اليوم التالي.. كان عبد الرحمن في السوق، ليشتري بما معه من مال جملا، ليبدأ مشوار التجارة.

وينجح ابن عوف في الخطوة الأولى، ليبدأ خطوة ثانية موفقة، تتبعها ثالثة، تبدأ بعدها مواهب ابن عوف في الظهور في أمور البيع والشراء، وحرفية التعامل في سوق التجارة والمال، وفهم النفوس، وكيفية التعامل مع الجميع مع اختلاف طباعهم.

ولم يكن ذلك النجاح الباهر في بداية حياته التجارية، ليصرفه عن رسالته التي جاء من أجلها، وضحى من أجلها بالكثير.

لم يكن ابن عوف يحب المال ذلك الحب الذي يعرفه الناس، والذي يصرف صاحبه عن كل شيء، حتى يصير عبدا له، يأتمر بأوامره وينتهي بنواهيه.

لم يكن ابن عوف يحب المال ذلك الحب الذي يجعله ينجذب إلى الأرض بكل قواه، ولا يدع لنفسه فرصة أن ينظر إلى السماء، ليعلم ولو لدقائق، أن مصيره إليها.

ولم يمر عامان، حتى جاء الوقت الذي طلب فيه الله عز وجل حياة ابن عوف في سبيله.

غزوة بدر..

ويلبي ابن عوف النداء بكل ما لديه من شوق إلى الجنة، ليكتب الله النصر للمسلمين.

وبعد عام واحد، يأتي المشركون للثأر من هزيمتهم، ليحمل ابن عوف سيفه، طالبا الشهادة في سبيل الله..

ويقاتل ابن عوف قتالا مريرا في غزوة أحد، ليصاب فيها بأكثر من عشرين طعنة، منها إصابة في رجله أصابته بالعرج.

وظلت تلك الإصابة طيلة حياة ابن عوف، تذكره دوما بشرف الجهاد في سبيل الله، والتضحية من أجل رسالة الإسلام.

إلا أن الله أراد لهذه الإصابة أن تستمر، حتى تكون شاهدا على مكافأة الله له بعدها.

وبفهم واع راق، يخرج ابن عوف من الجهاد ليعود إلى عمله بكل طاقة وحماس، وتزداد خبرته بشدة في التجارة، لتنمو ثروته نماء غير عادي، ويصبح ابن عوف أسطورة للتجارة في المدينة كلها، حتى إنه قال عن نفسه يوما:

- لقد رأيتني لو رفعت حجرا، لوجدت تحته فضة وذهبا !

ولم تكن الموهبة والجهد وحدهما، هما اللذان أوصلا ابن عوف إلى هذا النجاح الأسطوري، فلقد ساندهما توفيق الله، ورضاه..

واختباره أيضا..

كان نجاح ابن عوف في التجارة يسعده بالتأكيد..

ولكنه كان يقلقه أيضا..

وربما يخيفه..

وفي أوقات يحزنه..

شعر منه بالقلق، عندما قال له الرسول ﷺ يوما في مجلس يحضره:

«دخلت الجنة فسمعت حشفة، فقلت: ما هذا ؟

قيل: بلال...».

إلى أن قال: «فاستبطأت عبد الرحمن بن عوف، ثم جاء بعد الإياس [1] .

فقلت: عبد الرحمن؟

فقال: بأبي وأمي يا رسول الله! ما خلصت إليك حتى ظننت أني لا أنظر إليك أبدا.

قال: وما ذاك؟

قال: من كثرة مالي أحاسب وأمحص».

إن الذي يلفت النظر بشدة في هذا الحديث، أن الرسول ﷺ قد بشر ابن عوف بدخول الجنة، إلا أن الأمر لم يكن ليصيب ابن عوف بفرح، أكثر من إصابته بانزعاج؛ لأنه سيدخلها حبوا.

إن طموح ابن عوف لم يكن في التجارة فقط، بل إن طموحه كان جزءا لا يتجزأ من شخصيته، وهذا الطموح، كان يدفعه إلى أن لا يقبل التنازل عن السبق في الجنة، فلا يدخلها حبوا.

وبالطبع.. لم يهدأ ابن عوف بعد ما سمع من الرسول ﷺ، حتى نصحه الرسول ﷺ بالحل..

فقال له:

«يا ابن عوف، إنك من الأغنياء، ولن تدخل الجنة إلا زحفا، فأقرض الله -تعالى- يطلق لك قدميك».

بعدها.. تنفس ابن عوف الصعداء، بعدما أهدى له الرسول ﷺ حل المشكلة..

كان الحل في غاية البساطة، لرجل لا يبحث عن مجرد دخول الجنة فقط، إنما يدخلها مطلق القدمين.

إنها الصدقة على الفقراء والمساكين.

وبالفعل..

سارع ابن عوف ليشتري أرضا بأربعين ألف دينار، فرقها جميعا على أهله من بني زهرة، وأمهات المؤمنين، وفقراء المسلمين.

وأخذ يجتهد في كرمه على أهل المدينة، حتى اشتهر بكرمه كما اشتهر بتجارته، وحتى قيل عنه:

- أهل المدينة جميعا شركاء لابن عوف في ماله، ثلث يقرضهم، وثلث يقضي عنهم ديونهم، وثلث يصلهم ويعطيهم.

ويجتهد ابن عوف ليطلق قدميه أكثر وأكثر في الجنة، فما إن جاءت غزوة تبوك، والتي كانت عسيرة وشاقة على المسلمين لقوة جيوش الروم، وبعد المسافة التي استمرت خمسين يوما، حتى سميت بغزوة العسرة.

وعندها.. طلب الرسول ﷺ من المسلمين التبرع لتجهيز الجيش في مهمته العسيرة، ويذهب

---

(١) **بعد الإياس**: المقصود أنه قد تأخر.

ابن عوف لرسول الله ﷺ، ويقول له في فرح وحماس:

– يا رسول الله..عندي ثمانية آلاف، فأمسكت أربعة آلاف لنفسي وعيالي، وأربعة آلاف أقرضها ربي.

فقال له النبي ﷺ:

«بارك الله لك فيما أمسكت، وفيما أعطيت ».

وتنزل آيات السماء في ابن عوف وعثمان بن عفان وغيرهما ممن أنفقوا في سبيل الله وتقول:

﴿ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ لَا يُتۡبِعُونَ مَآ أَنفَقُواْ مَنّٗا وَلَآ أَذٗى لَّهُمۡ أَجۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴾ [البقرة: ٢٦٢].

كانت شهادة من الله عز وجل، يحتاجها ابن عوف كثيرا، لتطلق قدميه أسرع وأسرع..

ترى.. كم بلغت سرعة ابن عوف في دخول الجنة بعد هذه الآية ؟

إلا أن رقة عبد الرحمن بن عوف وتقواه، تجعله حساسا للمقارنة بينه وبين مستوى أصحابه، حتى ليظن أنه سيتباعد عن إخوانه الذين فازوا بالشهادة، وهم في أشد الفقر والحاجة.

جيء له يوما بطعام الإفطار وكان صائما، فلما وقعت عليه عيناه، فقد شهيته له، وبكى ثم قال:

– استشهد مصعب بن عمير وهو خير منى، فكفن في بردة، إن غطت رأسه بدت رجلاه، وإن غطت رجلاه بدت رأسه، واستشهد حمزة وهو خير منى، فلم يوجد له ما يكفن فيه إلا بردة، ثم بسط لنا في الدنيا ما بسط، وأعطينا منها ما أعطينا، وإني لأخشى أن نكون قد عجلت لنا حسناتنا.

ووضع الطعام أمامه يوما وهو جالس مع أصحابه فبكى، وسألوه:

– ما يبكيك يا أبا محمد؟

قال: لقد مات رسول الله ﷺ وما شبع هو وأهل بيته من خبز الشعير، ما أرانا أخرنا لما هو خير لنا.

لقد أرق المال ابن عوف كثيرا ، كلما فكر في أصحابه..

وكان يتمتم وعيناه تفيضان بالدمع وهو يقول:

– إني أخاف أن أحبس عن أصحابي، لكثرة ما كان لي من مال.

إنها نعمة المال عندما يحتضنه الإيمان، وتغلفه التقوى، وتقوده المسئولية، ولا تحكمه الشهوة.

لهذا.. لم يكن الكبر يعرف إلى ابن عوف سبيلا، فكان كلما زاد ماله زاد تواضعه، وحسنت معاملته لغيره، حتى قيل عنه:

– إنه لو رآه غريب لا يعرفه وهو جالس مع خدمه، ما استطاع أن يميزه من بينهم.

وفي زماننا هذا.. يظل يبحث الكثير من رجال الأعمال والتجارة إلى تزاوج المال بالسلطة، للاستفادة من السلطة في تنامي الثروة وتضاعفها بصورة هائلة، نتيجة لقربهم من أصحاب القرار في الدولة.

هذا لمن لا يعرف مهمة المال في الحياة، ويجعل المال هو محور الحياة، وروحها ومنتهاها، هو يريد السلطة لا ليخدم الناس، بل لتخدمه السلطة على حساب الناس.

ولقد أتيحت الفرصة لعبد الرحمن بن عوف ليدخل السلطة من أوسع الأبواب، ويصبح من أصحاب المال والنفوذ، وذلك عندما رشحه عمر بن الخطاب، ليصبح من الستة أصحاب الشورى من بعده لتولي الخلافة ، بعد أن قال عنهم:

– لقد توفي رسول الله ﷺ وهو عنهم راض.

ولقد رشحه البعض بالفعل لتولي الخلافة..

ولكن لم يكن الذين رضي عنهم الرسول ﷺ، لينظرون إلى السلطة تلك النظرة الخبيثة المدمرة.

لقد عانى عبد الرحمن من المال، الذي كان سببا في إنذار الرسول ﷺ له بأنه سيدخل الجنة حبوا من فرط المحاسبة عليه..

ثم عاش حياته ينفذ وصية الرسول ﷺ بالإنفاق، حتى يطلق قدميه في الجنة.

فكيف يكون حاله عندما يحاسب في السلطة عن ملايين النفوس التي تركها له عمر بن الخطاب في الدولة المترامية الأطراف.

وعندما أشار البعض بالترشيح له، انزعج بشدة، وكأنهم يوجهون له أيديهم بالاتهام، ورفض في إصرار وهو يقول:

– والله لأن تؤخذ مدية فتوضع في حلقي، ثم ينفذ بها إلى الجانب الآخر، أحب إلي من ذلك.

ويتنازل ابن عوف بقوة عن الترشيح، رغم محاولات إخوانه في قبولها، إلا أنهم رضخوا لرغبته في النهاية، بعد أن طلبوا منه قبول الترشيح ثقة فيه وفي أمانته، بعد أن قال له علي بن أبي طالب رضي الله عنه:

– لقد سمعت رسول الله ﷺ يصفك بأنك أمين في أهل السماء، وأمين في أهل الأرض.

وبعد استطلاع آراء الناس، وأصحاب الرأي والمشورة، يرشح ابن عوف عثمان بن عفان للخلافة، ويوافق الجميع على رأيه، ليصبح عثمان بن عفان الخليفة الثالث للمسلمين.

ويترك ابن عوف السلطة لأهلها، ليستمر جهاده بالمال من أجل إعلاء كلمة الله في كل مكان.

وفي يوم.. اهتزت المدينة كلها على أصوات قوية متلاحقة، وملأ الغبار المكان كله من بعيد..

ويخرج بعض أهل المدينة متسائلين، وتخرج السيدة عائشة لتعرف ما الخبر وهي تتساءل:

– ما هذا الذي يحدث في المدينة؟

ويأتيها الجواب، بأنها قافلة عبد الرحمن بن عوف.

وتتساءل السيدة عائشة متعجبة:

- قافلة تحدث هذه الرجة ؟!

فإذا بصاحب الخبر يقول لها:

- إن القافلة بها سبعمائة راحلة، جاءت للتو من الشام، بها من مختلف الأصناف.

وما إن وصل ابن عوف إلى المدينة، حتى خطا إلى بيت السيدة عائشة ليقول لها:

- لقد نصحنى رسول الله ﷺ بالإنفاق حتى لا أدخل الجنة حبوا، وإني أشهدك أن هذه القافلة بأحمالها، وأقتابها [1] ، وأحلاسها [2] ، في سبيل الله عز وجل.

ثم خرج ليجد العمال قد قاموا بفك الأحمال التجارية، وإنزالها وتوزيعها على أهل المدينة في مهرجان بر عظيم.

لازال عبد الرحمن بن عوف، يطلق قدميه في الجنة..

ولقد وصل بن عوف من المنزلة والمكانة، ما جعل السيدة عائشة تطلب منه أن يدفن في حجرتها إلى جوار الرسول ﷺ وأبي بكر وعمر، لكنه استحى أن يرفع نفسه إلى هذا الجوار، وطلب دفنه بجوار عثمان بن مظعون، حيث تعاهدا يوما على أن يدفن من مات آخرا، إلى جوار صاحبه.

وفي العام الثاني والثلاثين من الهجرة، ربما يكون قد اطمأن ابن عوف قليلا إلى أنه سوف يدخل الجنة قائما أو ماشيا..

ولكنه قبل أن يموت، بادر بمحاولته الأخيرة..

فقد أوصى بخمسين ألف دينار في سبيل الله، وبأربعمائة دينار لكل من بقي ممن شهدوا بدرا، حتى وصل للخليفة عثمان نصيبا من الوصية، فأخذها وقال:

- إن مال عبد الرحمن حلال صفو، وإن الطعمة منه عافية وبركة.

وأوصى لأمهات المؤمنين بحديقة تقدر بأربعمائة ألف درهم.

ويرحل عبد الرحمن بن عوف في شوق إلى لقاء الحبيب ﷺ، ليخبره بأنه قد نفذ الوصية..

فهل يا ترى.. مازال عبد الرحمن بن عوف، سيدخل الجنة حبوا ؟

* * *

(١) **القتب**: الرحل الصغير، والرحل هوالجزء الصغير الذي يوضع عليه متاع الراكب.

(٢) **الحلس**: كل ما كان على ظهر الدابة تحت الرحل.

١ - الإسلام يحرص على اختيار الأسماء وانتقاء الألفاظ (الرسول ﷺ يختار اسم عبد الرحمن بدلا من عبد عمرو).

بعض الناس يتضايق من إصرار بعض العلماء على تغيير اسم نبات «عباد الشمس» إلى «دوار الشمس »؛ لأنه إذا كان من بين الناس من يعبد غير الله، فإن النبات كله لا يعبد سواه ﴿ **وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ** ﴾.

إن الإسلام يحرص على ألا تعكس الأسماء والألفاظ والعبارات، مدلولا يخالف العقيدة، وربما يقع الكثير منا في هذا الخطأ في الحلف بغير الله، والاستشهاد بأمثال شعبية تخالف الدين.

ورغم عدم تعمد من يقول هذه الألفاظ أوالأمثال الخطأ، ولكن الإسلام يدعوه دائما أن يتحسس كلماته، ويراقب أقواله، فيصبح الله في قلبه طوال الوقت، ويسبق تفكيره كلامه، فيظل يراقب الله طيلة يومه.

ومن يراقب نفسه في اللفظ، يصبح من الأولى أن يراقبه في الفعل، فيعيش طوال يومه موجها قلبه وعقله إلى ربه.. أينما كان.

٢ - الإيمان والرغبة الشديدة في الفوز بالجنة، يدفعان صاحبهما إلى سلوكيات مبهرة للمجتمع، ويكون من الصعب على الكثير تفسيرها (سعد بن الربيع يعرض على عبد الرحمن بن عوف نصف ماله وإحدى زوجتيه).

عندما يتمكن الإيمان من القلب، وتشتعل الرغبة في بلوغ الجنة، تبلغ تصرفات صاحب الإيمان وسلوكياته إلى حد مبهر، ربما لا يستطيع أن يفهمها ويفسرها من قامت تصرفاته على حسابات مادية، تقوم على منطق الربح والخسارة المادية، التي لا تدخل في معادلتها رضا الله وثوابه.

من هنا.. صعب على الكثير تفسير الدافع إلى العمليات الاستشهادية في فلسطين، وتفسير تحمل التيارات الإسلامية للاضطهاد والتعذيب والحرب في الأرزاق، ومصادرة الأموال في أنحاء الأرض، ورفضهم التنازل عن مبادئهم . من هنا.. يصعب على الناس فهم تصرف مسلم يتنازل لأخيه عن شيء، هو في احتياج إليه.

إن الإيمان والرغبة في الجنة يحلقان بالنفس في السماء، ويجعلانها في اشتياق إلى النعيم الدائم، وهنا تستقر المعادلة، لتصبح المكسب الكبير المؤكد.

ومن هنا أيضا.. تأتي عظمة الإسلام القادر على أن يشعل بالإيمان النفوس، فيحول الكره إلى حب، والحرب إلى سلام، والتناحر إلى تعاون، والرغبة في التدمير إلى رغبة في البناء، إنه قادر على اجتياز النفس أسوارا عالية، كان من المستحيل اجتيازها بدونه، هي نفس الأسوار التي كانت بين

عمر بن الخطاب وإسلامه، وبين ترك الكثير من الفنانين ملكوت الشهرة والمال إلى رحاب الله، وبين شاب لاه مدمن للخمر والمخدرات والنساء، وشاب بكاء في وقت السحر.

إنه الإيمان..صانع معجزات البشر..

وهذا يكفي.

٣- تنمية المواهب والقدرات تولد الثقة بالنفس، وتربى على الاستقلال، وتقلل من الاعتماد على الآخرين (عبد الرحمن بن عوف يعتذر عن عرض سعد بن الربيع ويعتمد على نفسه ليبدأ مشوار التجارة).

يتميز الشباب في المجتمع العربي بالاعتماد على أبويه لفترة طويلة من العمر، حتى سن الخامسة والعشرين في المتوسط، وهوأمر يجعل قدرة الشاب على الدخول في غمار الحياة أمرا صعبا للغاية، بما يقلل فرصة نجاحه بدرجة كبيرة.

إن تنمية مهارات الأبناء مبكرا، وتدريبهم على تعلم حرفة، والاندماج في عمل، يوفر لهم فرص الاحتكاك بالمجتمع ، ويكسبهم ثقة غير عادية بالنفس، وقدرة كبيرة على التفكير والإبداع واتخاذ القرار والقدرة على الاستقلال وعدم الاعتماد على الآخرين، إلا في أضيق الحدود، ويشعر الشاب أنه قادر على تخطي كل ما يعترضه من مشاكل.

إن الشباب القادر على الاستقلال، واتخاذ القرار، والاعتماد على النفس، هوالشباب القادر على صنع المستقبل المبهر.. للدين والوطن.

٤- لابد من مراقبة النفس ومحاسبتها ودفعها إلى الخير باستمرار، حتى لا تتحول نعمة المال إلى نقمة (المال لا يصرف عبد الرحمن بن عوف عن أداء رسالته).

قد يفهم أن تكون الظروف الاقتصادية السيئة، سببا في أن يقصر من يعاني من هذه الظروف في العبادة، وأن تجعله يقلل من الإنفاق، ولا تتيح له وقتا لممارسة الأدوار الاجتماعية التي يكلفه بها الإسلام، إلا أنه من غير المفهوم أن تكون كثرة المال سببا في ذلك.

فربما يكون النجاح في الحياة التجارية، سببا في انشغال صاحبه عن ربه، فربما يجذبه انشغاله الشديد في جمع المال إلى التقصير في العبادة أو تربية الأبناء أوالاهتمام بالأسرة، وربما يقع آخرون في ذنب شرعي كبير بعدم الاهتمام بدفع زكاة المال، إما تناسيا أو تجاهلا وبخلا، وربما يدفعه شغفه بالمال إلى تجاوزات أخلاقية وشرعية، يجتهد في إيجاد المبررات لها من وقت لآخر..

إننا مطالبون بمراقبة النفس ومحاسبتها في كل الأحوال، في الفقر والغنى، حتى لا يتحول الفقر إلى سبب للسخط واليأس، ويتحول الغنى إلى سبب للانشغال عن الآخرة، بدلا من شكر الله على نعمته.

٥- لابد من المحافظة على التوازن النفسي عند النجاح، وتذكر دائما أن الله هو صاحب الفضل عليك (عبد الرحمن بن عوف ينجح نجاحا أسطوريا في التجارة بجهده وبتوفيق الله له).

عندما يصل النجاح إلى درجة مبهرة، تؤدي إلى انهمار نظرات الإعجاب وكلمات المديح، مما قد يفقد الناجح توازنه النفسي، ويرجع نجاحه إلى اجتهاده وذكائه وصبره، ناسيا فضل الله عليه.

لولا تهيئة الله عز وجل للمناخ من حول الشخص الناجح لما نجح أبدا، إن هناك الكثير من الشخصيات عبر التاريخ، التي عرفت بعلمها وذكائها وكفاحها، ولكنها لم تنجح كشخصيات أخرى، ربما كانت أقل علما وذكاء، ولكن الله هيأ لها أسباب النجاح من حولها، فوجدت طريقها مفتوحا إلى ما تصبواليه.

٦- الأغنياء ورجال الأعمال قادرون على امتلاك أراضي واسعة في الجنة، وبأثمان أقل سعرا (عبد الرحمن بن عوف يشتري أرضا ويوزعها على الفقراء؛ لأن الرسول ﷺ قال له: ستدخل الجنة حبوا).

بشر الرسول ﷺ عبد الرحمن بن عوف بدخول الجنة، إلا أنه انزعج؛ لأنه سيدخل الجنة حبوا، فاتجه سريعا إلى ماله ليحل المشكلة بمساعدة الفقراء.

يستطيع الأغنياء ورجال الأعمال أن يحلوا مشاكل كثيرة في المجتمع، ولو بأموال الزكاة فقط، لوأمكن تجميعها وتوجيهها توجيها سليما نحو مشروعات تنموية مفيدة، تنقذ الفقراء من براثن الفقر والمرض والجهل، وسيدرك الأغنياء يوما ما، أنهم قد اشتروا بهذه الأموال مساحات شاسعة في الجنة، تفوق ما اشتروه في الدنيا عشرات المرات، وبأثمان أقل سعرا بأكثر مما يتخيلون.

٧- لا سبيل للإحساس بنعمة الله عليك، إلا برؤية من منعت عنهم هذه النعمة (عبد الرحمن ابن عوف يتذكر فقر الرسول ﷺ وإخوانه الشهداء).

مهما آتانا الله من نعمة، فلن نشعر بها حتى نرى المحرومين منها، ولا يجب على المنعمين أن ينعزلوا عن المجتمع في بروج عاجية، بل عليهم أن يقتربوا ممن حرموا، حتى يدركوا نعمة الله عليهم، وترق قلوبهم لغيرهم، فيمدوا إليهم يد المساعدة، ويصبح التراحم سمة من سمات المجتمع المسلم.

٨- التزاوج بين المال والسلطة يصب في صالح الأغنياء، ويجعل الصراع قائما بين المصلحة الشخصية والمصلحة العامة (عبد الرحمن بن عوف يرفض الترشيح للخلافة).

من الخطر أن يتزوج المال والسلطة، وبخاصة في النظم الديكتاتورية التي لا يحاسب فيها المسئولون، عندها تصبح السلطة في قبضة المال، الذي يستغل القوانين لصالحه من أجل أن تتضخم

ثروته على حساب الملايين من الفقراء، فيزداد الأغنياء غنى والفقراء فقرا.

وعندما تتزوج السلطة والمال، يصبح الصراع بين المصلحة الشخصية والمصلحة العامة قائما، وتتحول القوانين إلى مشاريع خاصة، تستطيع أن تضع عشرات الأصفار أمام الأرقام، وتزداد الهوة بين الطبقات إلى درجة خطيرة، يفقد معها المجتمع أمانه الاجتماعي ليصبح وطنا.. (قطاع خاص).

* * *

obeikandl.com